أكدت أن دعوة الأم أولادها إلى الإيمان من أهم القربات إلى الله تعالى

د.مستورة المطيري: أيتها الأم كوني داعية إلى الله في بيتك

قال الشاعر حافظ إبراهيم: «الأم مدرسة إذا أعددتها... أعددت شعبا طيب الأعراق».

حقا فالأم الصالحة هي التي تصنع الرجال، ولا شك انها هي الأساس في نشأة جيل صالح من الأبناء، ولذلك أوصى النبي ﷺ بالأم ثلاثا وبالأب مرة واحدة. دور الأم أكبر من دور الأب فهي التي تربي وتعلم ومنها يستقون كل القيم والأسس والمبادئ.

وبذلك تكون الأم داعية الى الله في بيتها، ولأهمية هذا الموضوع كان لنا هذا الحوار مع د.مستورة رجا حجيلان المطيري بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ قسم التفسير والحديث ـ تحدثنا كيف تكون المرأة داعية مع أسرتها، والى نص الحوار:

كيف تكون المرأة داعية في بيتها؟

● من أهم وأجل القربات التي تتقرب بها الأم الى الله عز وجل دعوتها لأولادها عن طريق التوعية والتعليم وإرشاد أهل بيتها لما فيه خير دينهم ودنياهم، قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران: 104.

لا إفراط ولا تفريط في معاملة الأبناء

ينبغي أن تكون الأم قدوة حسنة لأبنائها فالتوجيه النظري الخالي من التطبيق العملي لا يؤدي الغرض المطلوب منه

فلتحرص الأم على توجيه أولادها إلى الصلاة ومراقبتهم حتى يشبوا على حب الطاعة وبغض المعصية

شروط

وهل هناك شروط للأم الداعية؟

● يتطلب ان تكون الأم عالمة بأمور دينها وضابطة لتعاليمه حتى تكون قدوة صالحة وتؤتي مثل هذه الدعوة ثمارها بإذن الله تعالى.

فن الدعوة

وما أهمية ان تكون الأم داعية مع انها تؤدي ما عليها تجاه أبنائها؟

● الحاجة ماسة هذه الأيام الى ان تتقن الأم فن الدعوة الى الله نظرا لكثرة الفتن والملمات التي باتت تشوش الذهن وتذهب الفكر وتضعف الهمم في السير الى الله تعالى.

المرأة والرجل

وهل الدعوة داخل البيت من واجب المرأة فقط؟

● الرجل كذلك مسؤول عن دعوة أهل بيته، وإرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسهم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة). وقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم...»، متفق عليه.

استقرار الأسرة

ولماذا ركزت على الأم؟

● لأن حرص الأم على دعوة أهل بيتها إلى الله والاهتمام بتوعيتهم وإرشادهم وهدايتهم الى ما فيه صلاحهم وخلاصهم وهذا يعد مدخلا مهما لاستقرار الأبناء والأسرة وتحقيق السعادة المنشودة في الدارين بإذن الله تعالى، وهو من باب التواصي بالحق الذي أمر الله عز وجل به في قوله تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)، قال ابن عطية، رحمه الله تعالى في تفسيره: «ومن كان مدة عمره في التواصي بالحق والعمل بحسب الوصاة فلا خسر معه وقد جمع له الخير كله».

أمران

لكي تكون الأم على بصيرة في دعوتها لأهل بيتها ما الذي يجب ان تكون عليه؟

● على الأم ان تتقن أمرين حتى تكون على بصيرة من أهل بيتها وهما: أن تكون عالمة بأمور دينها مما يقيم عقيدتها وعبادتها وسلوكها على النحو الصحيح والمطلوب شرعا، والثاني ان تكون عاملة بتلك الشرائع والأحكام. قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)، وذلك ان جهل الأم بأسس وأركان وشرائح وأحكام دينها وعدم فهمها الفهم الصحيح يفضي بها الى التهاون في دينها وتضييع حدوده والأحكام وهذا فيه ضرر كبير على الفرد والمجتمع فيما بعد.

ثلاثة أمور

ما الأمور التي تعين الأم على النجاح في دعوتها لأهل بيتها؟

● لكي تنجح دعوة الأم في بيتها عليها ان تحقق أمورا ثلاثة وهي: تحقيق الأمن النفسي، تعزيز التوحيد عند الأبناء، تعليم أركان الإسلام الخمسة.

الأمن النفسي

هل تدليل الأبناء يحقق لهم الأمن النفسي أم الحزم معهم؟

● إشاعة مفهوم الرفق في البيت وحرص المرأة على ان تعامل أبناءها بحنو ولطف كفيل بقبول ما تلقيه من تعاليم وارشادات متعلقة بالدين بل وأحيانا المسارعة في تنفيذها، فالعنف والفظاظة في المعاملة والشدة التي ليست في محلها والمداومة على توبيخ وتفزيع الأبناء وذمهم وغيرها من الأمور يوجب النفور والإعراض عما تقوله الأم سواء كان في أمور الدين أو الدنيا. قال تعالى: (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ـ آل عمران: 159) وقد امتدح رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري، وهذا لا يعني التساهل مع الأبناء وعدم الحزم معهم فيما يصلح أمور دينهم ودنياهم إذ لا إفراط ولا تفريط.

التوحيد

وكيف تعزز وترسخ الأم فضل لا إله إلا الله عند اطفالها؟

● من خلال شرح الأم وبيان معنى التوحيد وتحذيرهم من الوقوع في الشرك وبيان شره وخطره على الفرد والمجتمع، كما ينبغي ان تعتني الأم كذلك بتعزيز محبة الرسول ﷺ في نفوس اولادها وتوقيره والحث على اتباعه وبيان مكانته من خلال عرض سيرته والوقوف على صفاته وشمائله، قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ـ آل عمران: 3، وهذا كان دأب الانبياء والصالحين من بعدهم في تحذير ابنائهم من الشرك. فالمتأمل لقصة لقمان مع ابنه يلحظ ان اول ما بدأ به لقمان من وعظه لابنه هو تحذيره من الشرك ومن مغبة الوقوع فيه، قال تعالى: (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لقمان: 13، وكذلك أم سليم عندما آمنت برسول الله ﷺ فجاء ابو انس وكان قائدا تعال: اصبوت؟ فقالت: ما صبوت ولكن امنت، قال: فجعلت تلقن انس وتشير اليه: قل لا إله الا الله.. اشهد ان محمدا رسول الله فيقول لها ابوه: لا تفسدي علي ابني فقالت: لا أفسده.

الأركان الخمسة

ما الذي يجعل الأم من زمرة الداعين الى الله؟

● عناية الأم بتعليم ابنائها الاركان الخمسة وعلى رأسها الصلاة يجعلها من زمرة الداعين الى الله، قال تعالى: (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا، وقال انني من المسلمين) ـ فصلت: 33. فالصلاة تعد اول تكليف يجب على الاولاد بعد الشهادتين، فلتحرص الأم على توجيه اولادها الى الصلاة ومراقبتهم وتذكيرهم ان غفلوا عنها حتى يشبوا منذ نعومة اظفارهم على حب الطاعة وبغض المعصية، وهذا ما وصى به لقمان ابنه حين قال له: قال تعالى: (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) لقمان: 17، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «حافظوا على أبنائكم في الصلاة وعودوهم الخير فإن الخير عادة» رواه الطبراني في المعجم الكبير. وقال ابو حامد الغزالي في احياء علوم الدين: (ومهما بلغ سن التمييز فينبغي الا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، ويجنب لباس الديباج والحرير والذهب، ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش.

القيم

وما مدخل الأم لكي تعزز القيم الاسلامية في نفوس الأبناء؟

● الحرص على غرس مفهوم التوحيد مع اقامة الاركان الخمسة تعتبر مدخلا مهما الى تعزيز القيم والاخلاق الاسلامية في نفوس الابناء فيما بعد وهذا له دور كبير في المحافظة على الهوية الاسلامية والثبات عليها.

القدوة

وما الذي يعين الأم على غرس المفاهيم والقيم في نفوس ابنائها؟

● هناك امران الاول ان تكون الأم قدوة حسنة لابنائها، فالتوجيه النظري الخالي من التطبيق العملي لا يؤدي الغرض المطلوب منه بل يضر في احايين كثيرة، وهذا امر ذمّه الله عز وجل في كتابه، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) الصف: 2 ـ 3.

والأمر الثاني تقريب هذه المفاهيم عن طريق طرح القصص ورواية الحوادث والوقائع الماضية لما لها من اثر في تكوين الشخصية وهذا كان دأب الصحابة في تربية ابنائهم ودعوتهم الى الله تعالى، قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه: «كنا نعلم اولادنا معازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن».

الاجر الكبير

في نظركم ما المكافأة التي تنالها الأم الصالحة من دعوتها لأبنائها؟

● ان عناية الأم بدعوة ابنائها الى الله وتعليمهم ما ينفعهم وصبرها على ذلك سيحقق لها بإذن الله تعالى الاجر الذي وعده الله عباده قال تعالى: (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من أبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ـ الرعد: 22 ـ 24.

أهل الدعوة

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان معنى الدعوة على بصيرة: «ان الرسل واتباعهم هم أهل الدعوة، وهم أهل البصائر، فمن دعا على غير بصيرة فليس من اتباعهم، ومن أهمل الدعوة فليس من اتباعهم، وإنما اتباعهم على الحقيقة هم الدعاة الى الله على بصيرة، يعني اتباعهم الصادقين الذين دعوا الله على بصيرة، ولم يقصروا في ذلك، وعملوا بما يدعون اليه، فالواجب على الداعية الى الله ـ عز وجل ـ ان يكون ذا بصيرة أي ذو علم، فالدعوة على جهل لا تجوز أبدا، لأن الداعية على جهل يضر ولا ينفع ويضل ولا يهدي».

ولو بشطر كلمة

قال الشيخ السعدي ـ رحمة الله عليه ـ في القول السديد شرح كتاب التوحيد: «واذا كانت الدعوة الى الله، والى شهادة ان لا إله إلا الله فرضا على كل أحد، كان الواجب على كل أحد كسب مقدوره، فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم ما على غيره ممن ليس بعالم، وعلى القادر ببدنه ويده وماله، أو ماله وجاهه وقوله أعظم مما على من ليست له القدرة. قال تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم)، ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة الى هذا الدين».

تواضع رسول الله ﷺ

روى أحمد والبزار عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل.. فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة فلما نزل قال: يا محمد أرسلني ربك، قال: أفملكا نبيا يجعلك أو عبدا رسولا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: بل عبدا رسولا.

وروى الطبراني عن الحسين بن علي قال: أحبونا بحب الإسلام، فإن رسول الله ﷺ قال: لا ترفعوني فوق حقي.. فإن الله تعالى اتخذني عبدا قبل ان يتخذني رسولا.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجلس على الأرض.. ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير.

وروى الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد كان يوم خيبر ويوم قريظة على الحمار خطامه من ليف وتحته أكاف من ليف. (الأكاف: أي البردعة.. والبردعة ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليها كالسرج للفرس).

وروى الطبراني عن أبي غالب قال: قلت لأبي أمامة: حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: كان يحدث رسول الله ﷺ القرآن، ويكثر الذكر ويقصر الخطبة ويطيل الصلاة، ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من حاجته.

وفي رواية للنسائي بإسناد حسن عن عبدالله بن أبي أوفى: يكثر الذكر ويقل اللغو.. ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة.

وروى الطبراني عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويلبس الصوف ويعتقل الشاة ويأتي مراعاة الضيف.

وروى البخاري عن انس قال: كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت.

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت رجلا التقم أذنه (أي وضع فمه عند أذن الرسول ﷺ يناجيه.. ويحدثه) ﷺ فيحني رأسه حتى يكون الرجل هو الذي يحني رأسه.. وما رأيت رجلا أخذ بيده فيترك يده، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده.

وفي رواية الترمذي: كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده، حتى يكون الرجل الذي ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه، حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له.

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة وجاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فربما جاءوه في الغداة البارد فيغمس يده فيها.

قال النووي: إن في هذا التبرك بآثار الصالحين وبيان ما كان الصحابة عليه من التبرك بآثاره ﷺ وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية.

وروى البخاري عن الأسود بن يزيد النخعي ـ رحمه الله ـ قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة (حوائج) أهله (تعني خدمة أهله).. فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

الدعاء المأثور

د. وليد العلي

إمتاع ذوي الأفهام بأدعية خير الأنام

أهدى «الإيمان» الإمام والخطيب بمسجد الدولة الكبير الشيخ الداعية د.وليد العلي بـ 30 مقالا أسبوعيا يشرح فيها طائفة مباركة من الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ على أن نمتعكم كل أسبوع بها.

إن من أشرف الأدعية التي يتقرب إلى الله تعالى بها الداعي، وأجمع المباني وأنفع المعاني التي يسعى في تحصيلها الساعي: ما أثر عن رسول الله ﷺ من الأدعية الصحيحة، التي هي من جوامع الكلام الذي تجود به القريحة. وإن من هذه الدعوات النبوية الشريفة، وهذه الكلمات الشافية الكافية المنيفة: ما أخرجه الترمذي عن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء».

فقول رسول الله ﷺ في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق»: المنكر هو كل ما لا يعرف حسنه من جهة الشريعة، أو هو كل ما عرف قبحه من جهة نصوصها الرفيعة.

ومنكرات الأخلاق منها ما هو باطن ومنها ما هو ظاهر، فمن سلم جسده من شؤمها وطهره فقلبه سليم وطاهر، فمن منكرات الأخلاق الباطنة: الحسد والحقد والغش والغل التي تسود الفؤاد، ومن منكرات الأخلاق الظاهرة: البخل والجبن والعجز والكسل التي توهن الأجساد.

وقد وقعت الاستعاذة من منكرات الأخلاق لأنها سبب لجلب كل الشرور، وتكررت كذلك في مواطن متعددة لأنها تنزع البركة والخيرية من جميع الأمور، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله، في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك» (أخرجه مسلم).

وقول رسول الله ﷺ في دعائه: «والأعمال»: ومنكرات الأعمال هي كل ما حرمه الله تعالى على القلوب والألسن والأبدان، فهي تعم جميع ما ترجع إليه منكرات الأعمال من الكفر والفسوق والعصيان.

وأصول منكرات الأعمال ثلاثة فالواجب حذر العبد منها، وليجتهد كل وقت وحين في تزكية نفسه ومباعدتها عنها، فأول ذلك الكبر، وهو العمل الذي صير إبليس إلى لعنة الله تعالى وغضبه ومقته وجعله من الغاوين، وثاني ذلك الحرص، وهو العمل الذي أخرج آدم من الجنة ثم اجتباه ربه فتاب عليه وجعله من المهتدين، وثالث ذلك الحسد، وهو العمل الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين.

ومرد أصول منكرات الأعمال إلى ثلاثة أمور، منها تفجر جميع الآثام والعدوان والشرور:

أولها: تعلق القلب بغير رب البرية، وأكبر ذلك: الشرك وهو انتقاص وهضم حق الله.

وثانيها: اغتيال العقل بالقوة الغضبية، وأكبر ذلك: قتل النفس المعصومة التي حرم الله.

وثالثها: استسلام النفس للمؤثرات الشهوانية، وأكبر ذلك: الزنا المستدعي غيرة الله.

قال الله تعالى: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما).

وقول رسول الله ﷺ في دعائه: «والأهواء»: ومنكرات الأهواء هي ما تشتهيه النفس الأمارة بالسوء من الشهوات، أو ما يستفزها فيؤثر فيها حتى تميل إليه وتقبل عليه من الشبهات.

وكل عبد من العباد له إرادة مؤثرة تسيره وله قائد ملائم يقوده حيث هوى، فمن كان هواه تبعا لما جاء به النبي ﷺ فهو على هدى، ومن من كان هواه تبعا لنفسه وما تهواه فهو على شفا جرف من ردى.

فمنكرات أهواء الشهوات تدفع بالصبر ومنكرات أهواء الشبهات تدفع باليقين، فلا دواء لمنكرات الأهواء إلا بهما لأنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، قال الله تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء.

فالزم يا عبدالله هذا الدعاء وأنت مستيقن بأن ربك لدعائك مجيب، وأنه يخاطبك بقوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون).

نفعني الله وإياكم بهذا الدعاء، وفتح لإجابته أبواب السماء.